مجلة أبعاد
مجلد 11، العدد 01 (خ)، 2024
ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

أوغست كونت وتأصيل الفلسفة الوضعية

Auguste Count and Rooting Positivity Philosophy

كريمة بريكي * Briki karima
karimaphilosophie@gmail.com
فلسفة
جامعة تونس– (تونس)

****

تاريخ الإرسال:2024/02/07	تاريخ القبول: 2024/08/02	تاريخ النشر: 2024/08/04

ملخص:

يبين هذا المقال هدف أوغست كونت من تأسيسه للفلسفة الوضعية وهو أولا ربط الفلسفة بالحياة وهو ما يمكنه من اصلاح المجتمع، وإصلاح المجتمع لا يمكن تحقيقه إلا اذا صلحت العقول، ولا صلاح للأخلاف اذا لم يتحقق الوفاق بين العقول، وثانيا وضع تعاليم الفلسفة الوضعية في الممارسة والتطبيق، لذلك كان مشروعه علمي وضعي بالأساس بمقتضى أن الفلسفة في تقدير أ. كونت ليست قولا في الوجود أو انطولوجيا، أو في ما قبليات، وإنما هي قول على القول العلمي، وهذا عينه ما يجر كونت إلى تأسيس تفكير ثوري يعي جيدا أهدافه ورهاناته، من جدة وطرافة تفضي إلى بناء فلسفة علمية تطبيقية وهو ما يقتضى النظر في تاريخية العلوم، باعتباره تاريخ تقدم، وهو الطابع المميز للفلسفة الوضعية .

الكلمات المفاتيح: الابستمولوجيا؛ الفلسفة؛ الوضعية؛ العلم؛ التقدم

Abstract:

This article sets out Auguste Comte 's goal of founding positivist philosophy, which is to first link philosophy to life, which enables it to reform society, and to reform society can only be achieved if it reforms minds ,There is no good for differences if there is no reconciliation between minds. and, secondly, establishing the doctrine of positivism in practice and practice, so his project was essentially scientific and based on the fact that philosophy in Count's judgment was not a word of existence or an introversion. But it's a saying on scientific words, and that's the same thing that draws Count to establish a revolutionary thinking that is well aware of his goals and his bets. s history as a history of Progress, the distinctive character of positional philosophy

Keywords: Epistemology ; philosophy; positivism; science; progress

* المؤلف المراسل: karimaphilosophie@gmail.com

1.مقدمة:

إن أول مقتضيات القرن التاسع عشر هو تجاوز المطلقات سواء في دلالتها الخبرية، أو في دلالتها العقلانية . والفلسفة الوضعية انما تستجيب لهذا المقتضى (Serre,M,1989) وذلك بما احتكمت له من مهام نظرية وعملية: أولها المهام النظرية المتمثلة في نقد العلم التقليدي، ونقد المنطق الشكلي، إذ يؤكد أ. كونت على هذه الوظيفة ويبررها في قوله: "إن دراسة الفلسفة الوضعية باعتبار نتائج فعالية ملكتنا العقلية تزودنا بالوسيلة العقلانية الوحيدة والحقيقية لإظهار القوانين المنطقية للذهن الإنساني والتي بحث عنها حتى الآن بواسطة طرق خاصة قليلا للكشف عنها.

أما المهمة الثانية فهي تؤول في النهاية في الإشراف على إصلاح المنظومة التربوية (Comte,A,p60)، وهو الأمر الذي دعمه بيار ماشيري بقوله "الفلسفة الكونتية مثيلة الفلسفة الهيغلية، أو فلسفة كوزان V.Cousin أو مثيلة الفلسفة النتشوية ومبادرته المستقبلية. لذلك نتبين راهنية الفلسفة الوضعية حيث يشير اميل ليتري إلى الدور الريادي للفلسفة الوضعية في تأسيس علم الاجتماع، مبينا أنّ التطور المطّرد في المجالين الاجتماعي والمعرفي يعود إلى التصوّرات الكونتية والكونية، لذلك يعترف اميل ليتري لاوغيست كونت بأنه أعاد احياء مبادئ الفلسفة الوضعية (Littré,E ,1879,55).

لذلك كان لازم الاعتراف بمعاصرته لنا والاقرار بالضروري العودة إلى مقامه وقوانينه الإبستمولوجية التي ميزت الفلسفة الوضعية، كقانون الحالات الثلاث، أو ما يسميه أ.كونت نفسه بالقانون التاريخي، وقانون التصنيف في معظم كتاباته لذلك فان انشغالنا براهنية الفلسفة الوضعية وتأصيلها في القرن التاسع عشر له ما يبيحه وسنحاول في مختلف ردهات هذا العمل التعرف على أهم هذه القوانين الوضعية ولن يفوتنا التأكيد على مالها من أهمية في الابانة عن كل قطاع معرفي

2. راهنية الفلسفة الوضعية

1.2 العلم الوضعي ومبدأ التقدم لعلنا على صواب لو أكدنا على أهمية العودة إلى المتن الكونتي وراهنية أفكاره، وعلاقة الفلسفة الوضعية بالمجال التطبيقي، أو بما يسمى بالعلوم التطبيقية les sciences appliquées لذلك فإن ما يسوغ اللجوء إلى الطرح الكونتي أنه لم يعتبر العلم عقلاني محض، ولا تجريبي خالص، بل يرى أن وظيفة العلم هو بيان دلالة الظواهر بالنظر إلى علاقاتها ببعضها البعض والكشف عن الصلات التي تربط بين الوقائع

والملاحظة هي التي تمكّن العلم من ذلك، وبهذا المعنى يكون العلم هو تأصيل لعلاقة القبلي بالبعدي، والذاتي بالموضوعي والميتافيزيقي (Grange,J,2002,404,).

وهذا عينه ما يسوغ لنا أن لا نعتبر أوغست كونت مفكر فحسب، بل هو صاحب مشروع حضاري، ينطوي على كثير من الأفكار الحديثة والجريئة، التي تشكل في أفق النهضة والتحرر منعرجا خطيرا بالمعنى الإيجابي، ومن هنا يمكن القول دون مواربة أن أوغست كونت امتلك إرادة الحضارة من خلال المعادلة التي وضعها والمتمثلة في قوله الحب مبدأ والتقدم الحضارة ومن خلال هذه القاعدة أو لنقل هذه المقابسات ينخرط الفيلسوف أ. كونت في مشروع حضاري يقوم أساسا على مبدأ التقدم ويتعلق بتأسيس تفكير ثوري يقطع مع السائد والمألوف لذلك يمكننا القول أنّ ثورة أ.كونت الفكرية قائمة بالأساس على إزاحة اللاهوت. تحثه أرادة إعادة بناء النظرية العلمية بشكل يجعلها تستجيب أكثر للمعطيات الجديدة بتأسيس العلم الوضعي وذلك لأجل تحرير المجتمع من ما يسميه أ.كونت بالعنصر الغريب وهو التفكير اللاهوتي والميتافيزيقي، وإن تحرر الفكر الوضعي من اللاهوت ومن الميتافيزيقيا عندها يضمن استقلاله الذي يطالب به لنفسه، فكل ما تقدم الفكر الإنساني في الدراسة الوضعية للظواهر ترك بالتدرج التفسيرات اللاهوتية حيث تظل الطبيعة الإنسانية شبيهة بنفسها في جميع مراحل تطورها وهذا التطور نفسه هو الذي يصبح سببا في نسبية العلم، وأن العلوم هي انتاج" النوع بأسره وقد نما هذا الإنتاج شيئا فشيئا اثناء سلسلة طويلة من القرون "المتتابع"(Comte, A,1975,p275) .

لذلك مثل التاريخ شرط امكان التقدم على اعتبا ان الفكر الانسان لا يمكن أن يصل إلى المرحلة العلمية الوضعية الا بعد مروره يشكل تعاقبي بمرحلتين سابقتين وهما اللاهوتية والميتافيزيقية للصول إلى المرحلة التي يستقر فيها الفكر، إن التاريخ اذن عند اب الوضعية، هو تاريخ الفكر الذي اجتاز المسار الذي يرسم الفواصل بين المراحل الثلاث ليستقر في مرحلته الثالثة والنهائي والثابتة (Comte,p121)، وفي ذات المسار يعلن بيار اندريه "بان القانون التاريخ لا يتعارض مع النظام بل يعضده، وذلك لضمان تقدم الإنسانية(Pierre,A,2004,p211)، فالتقدم عند أ.كونت لا يعني شيئا آخر سوى تطور النظام، وهذا الشرط هو اذعان إلى مقتضى الوضعية أي الإقرار بتعذر التنظيم ما لم يتجاوز الفكر معارف المراحل اللاهوتية والميتافيزيقية فوفق هذا المسار يثوّر الفكر العالم

ويحكمه(Comte,A 1975,p39)، ولكن هل يمكن اعتبار الفلسفة الوضعية مثالية طالما أنها تعلن للفكر هذه القدرة ؟

2.2 وحدة العلوم ومقتضيات التقدم

تلك هي الخطة التي اتبعها أ.كونت في عرض الفلسفة الوضعية حيث يعلن أن الانتقال من العلم الوضعي إلى الفلسفة الوضعية ممكنا حيث ستتحقق وحدة العقل وسيؤدي هذا الانسجام إلى التوافق الأخلاقي والديني للإنسانية باعتبار ان أ.كونت ينظر إلى جميع العلوم نظرة واحدة باعتبار أنها علوم وضعية، وهذا التجانس أدى إلى تصنيف عقلاني للعلوم، اذ أن وحدة العلم لا تحول دون ارجاع العلوم الأساسية بعضها إلى بعض، فتجانسها ضمان كاف لهذه الوحدة، وأن مجموع العلوم الوضعية كلها تعد أساسا ضروريا للفلسفة الوحيدة التي تستطيع الوصول اليها.

لذلك نتبين أن أ. كونت له تصور ثاني عن فكرة الوحدة، إذ ما دمنا نفكر تفكيرا وضعيا في مواضيع مثل الفلك أو الفيزياء فإننا لا نستطيع أن نفكر بطريقة مخالفة في مجال السياسة أو الديانة، أو الاقتصاد. وبمعنى آخر إن هدف أ. كونت، هنا هو تتبع المنهج الموضوعي إذ هو يحاول الوصول إلى قوانين العقل الإنساني لا عن طريق الاستبطان أو التأمل الباطني(Jean Lacroix,p4)، ولكن يحاول الكشف عن هذه القوانين في التتابع الضروري للعصور المختلفة التي تتألف منها مراحل التقدم لذلك العقل عن طريق تحليل التاريخ العقلي للإنسانية

ولهذا الأمر فإن أ.كونت يؤكد على عدم الفصل بين فلسفة العلوم، وفلسفة التاريخ، والنظرية التقدم . وهو ما يؤكد على أن الفلسفة ستصبح وضعية بالضرورة متى أصبح العلم الوضعي بأسره وضعيا لأنه ليس من الممكن إلا أن نتخذ سوى وجهة نظر واحدة في دراسة الأشياء، ونتيجة لهذه الرؤية كانت ابستمولوجيا أ.كونت ابستمولوجيا موسوعية وشمولية حيث عملت على وحدة العلم عوض انتاج إبستمولوجيات قطاعية أدت إلى تجزئة الخطاب وجعلت الحقيقة متشظيّة، لذلك كانت الوضعية فرصة لمعاودة تجميع الإبستمولوجيات القطاعية لجعلها تنتظم في أفق ابستمولوجي يستحيل معه التشتت، أليس من المشروع اليوم إكمال الإبستيمولوجيات القطاعية الداخلية بإبستمولوجيا عامة تفهم الظاهرة العلمية التي ميّزت القرن التاسع عشر ؟

ان المراس العلمي الذي تُساءله الفلسفة لتهتدي به هو تاريخي فالحقيقة العلمية هي حقيقة متزامنة يعني تصير في الزمن تتغير، أي أن المعرفة العلمية تتطور باستمرار وتتغير على الدوام ولذلك كان لابدا للتأمل الأبستمولوجيا من ان يأخذ في اعتباره تاريخ العلوم هذا الأفق الذي تنتظم فيه المعارف، أي أنّها الخطاب الكلّي الذي تندرج ضمنه جميع العلوم ولعل ذلك ما يشرع المكانة المميزة للعلوم في الفلسفة الوضعية. تبين من ذلك أن العلم هو المعرفة الإنسانية الوحيدة التي تتقدم بالاستمرار ولا تتأخر ابدا فتاريخ العلوم انما هو تاريخ تقدم قيم العقلانية إنه تاريخ رقي فهم الانسان لقوانين الطبيعة، وبالتالي هو تاريخ تنمية قدرة الانسان على التأثير في الطبيعة والسيطرة عليها حتى أن ديكارت كان يعتبر الغاية القصوى من مشروعه الفلسفي أن "يجعل الانسان بمثابة سيد الطبيعة ومالِكَها (Descartes,2005)، غير أنه بات من المؤكد التساؤل عن مكانة هذا العلم في احداث التقدم؟

إن الحس التقدمي وهذا الشوق إلى الرقي لا يمنع البتة تواضع العلماء، تواضع العلم لا بمعنى التواضع باعتباره فضيلة أخلاقية في مقابل التكبر أو الكبرياء، بل التواضع بمعناه الوعي بمصاعب العلم . وهذا التواضع يتنامي خاصة عندما تعترض العلم مشاكل يصعب عليه حلها أو لا يجد لها أنيا حلولا غير أنه عندما لا يجد العلم حلا انيا فإن ذلك لا يبرر العودة إلى ما قبل علمية أو اسطورية أو خرافية بل إن قولنا العلم يتقدم باستمرار ولا يتأخر ابدا يتضمن اعترافا بنسبية العلم وبالتالي فإنه ليس ثمة علم مطلق.

ففكرة التقدم تتضمن نسبية العلم وعن هاتين الفكرتين استمرار تقدم العلم، ونسبية طبيعة العلم تنتج فكرة ثالثة وهي لا محدودية تقدم العلم بما يعنيه أن كل عائق يعترض العلم يكون مناسبة ليزداد تقدما يمكن أن نستند لما بينه فرويد في كتابه مستقبل وهم إنه مهما كانت نسبية علمنا مهما كان ضعفُه امام ما تعاني البشرية من المصاعب فإنه ليس لنا احسن منه لمجابهة مصاعب وجودنا الطبيعية والصحية والاقتصادية (فرويد، 2005) ذلك إن تاريخ العلم إنما هو في الحقيقة تاريخ تقدم العلم وفكرة التقدم تتضمن معنى الارتقاء من الأدنى إلى الارقى، كما أن هذه فكرة تتضمن أيضا اعترافا بنسبية العلم فالعلم لا يأتينا بحقائق مطلقة ولا بأفكار وثوقية ولا بحلول سحرية فالفرق شاسع بين العلم واللاعلم .

3. الفلسفة الوضعية وضرورة الإبستمولوجية.

1.3 تاريخية الإبستمولوجية

ان الابستمولوجيا تدل اشتقاقيا Etymologiquement منطق العلم أو نظرية العلم فالكلمة مركبة من لفظين يونانيين هما ابستمي Epistémè، وتعني عند اليونانيين العلم أو المعرفة أو النظرية في مقابل الدوكسا Doxa، وثانيا لوقسLogos لذلك فالأبستمولوجيا هي نظرية أو منطق العلم، وبالتالي الحقيقة في اللاحقيقة أو الراي الشائع. لذلك يمكن القول أن، الأبستمولوجيا هي قول فلسفي في الحقيقة العلمية في مقابل الراي الشائع وحينما نتحدث عن الحقيقة العلمية فأننا نتحدث مبدئيا عن شيء صحيح في مقابل الشيء الخاطئ والحقيقة هي نقيض الخطأ ولا تؤول الحقيقة إلى الخطأ.

وبذلك عندما نتدبر الابستمولوجيا من حيث هي نظر في القول العلمي يحق لنا أن نتساءل عن وظيفة ذلك التدخل أي وظيفة ذلك النظر وينبغي هنا التمييز بين العلم والإبستمولوجيا فالعلم هو ما ينتهي اليه البحث النظري أو المخبري أو التجريبي، اما الابستمولوجيا فإنها تتساءل عن العوائق التي تجعل العالم يقف عند الخصوصي ولا يصل إلى القانون الكوني، وهذا الفرق بين العلم والابستمولوجيا يقودنا إلى أن نطرح اشكال التساؤل عن وظيفة الابستمولوجيا ؟

أولا، هي النظر فيما يسمح بالمرور من قبل العلمي pré- scientifique إلى العلم le scientifique مثل المرور من المقاربات الافلاطونية والأرسطية في ظاهرة سقوط الاجسام إلى غاليلي، وثانيا هي النظر في الكيفية أو المنهج المتبع للارتقاء من العلم إلى درجة علمية ارقى مثل تعميم "قانون سقوط الاجسام" لنستنتج منه الجاذبية الكونية la gravitation inversaires وثالثا هي النظر في الارتقاء من قولٍ علمي إلى قول علمي أرقى إلى قول علمي آخر مثل المرور من نيوتن إلى آنشتاين، أي نظرية النسبية الكونية .

فالعلاقة بين نيوتن وأينشتاين ليست علاقة رفض أو نفي، بل إن العلاقة بينهما هي علاقة تَرقي بمعني ان قوانيين نيوتن وغاليلي وديكارت تنطبق على العالم الماكرو فزيائي macro- physique حيث تكون سرعة الاجسام كبيرة مثل السيارة الطائرة الصاروخ لكنها محدودة . في حين أن أينشتاين يبحث في العالم المِيكروفزيائي حيث تكون السرعة هي سرعة الضوء أي ثلاثة مائة الف كلم في الثانية وبالتالي من مصادرات أينشتاين أن تلك السرعة هي السرعة القصوى أو السرعة الحدّ la vitesse limité.لذلك نتبين أن وظيفة الابستمولوجي

هي الوقوف على تَرّقي الفكر الإنساني في الوعي بحقائق العالم وفي كشف قوانين العالم وبقدر ما تنكشف للإنسان قوانيين العلم الحقيقية تندحر الدوكسا أو اللاعلمي (اللاهوت) وظيفة الإبستمولوجيا هي اذا البحث في سبل ارتقاء الإنسانية إلى وعي أجلاء وهنا يشير أ.كونت إلى أن الإبستمولوجية لا يمكن أن تكون الا تاريخية وأن هذا التاريخ ينبغي ان يكون فلسفيا نقديا مثمنا.

لذلك تمثل الإبستمولوجيا مقاربة فلسفية للإنتاج العلمي لأعمال العلماء وهذه المقاربة تترصد في تلك الاعمال لحظات مهمة في تاريخ الفكر الإنساني عامة وفي تاريخ العلم خاصة ونعتبر هذه اللحظات لحظات تغير أو انتقال من الأدنى إلى الارقى أو بوجه عام من إبستيمة إلى إبستيمة أخرى وهي لحظات على غاية من الأهمية أول باعتبارها لحظة الانتقال من قبل العلمي إلى العلمي. وخاصية الفكر الإبستيمولوجي مع أ.كونت أنه مُنقدر فكأنما الابستمولوجيا عنده هي وعي فلسفي بخصائص المراس العلمي ومن هنا جات قوانين الإبستمولوجية الكونتية وهي(القوانين الثلاثة) أو القانون التاريخي، والقانون الموسوعي أو قانون تصنيف العلوم، والقانون الإبستيمولوجي والقاضي بضرورة سيطرة العقل المسلح بالتجربة على الخيال المجنح أو اللاهوت الغيبي

وبهذا التقدير تصبح المقاربة الأبستمولوجيا مقاربة تاريخية أي ان الإبستمولوجية هي النظر في الإنتاج العلمي في التاريخ: ماهي المسائل التي تطرح على العلماء والمفكرين كيف تطرح تلك المسائل وكيف تصاغ الأجوبة؟ وما هو معيار قبول هذا الجواب أو ذاك

كلمة ابستمولوجيا نشأت في القرن التاسع عشر عند الإنكليز وهي مختلفة عن فلسفة العلوم La philosophie des sciences ونظرية العلوم La théorie des ومنهجية العلوم Méthodologie des sciences ومنطق العلوم La logique des sciences فما الذي يميز الابستمولوجيا في حدّ ذاتها ؟ ما يميزها انها قول فلسفي في العلوم ينطلق مما يفعل العلماء أنفسهم من عمل العلماء من الممارسة العلمية La pratique scientifique . ومن هذا المنطلق تمثل الأبستمولوجيا الدراسة النقدية لمبادئ مختلف العلوم ولفروضها ونتائجها بهدف تحديد اصلها المنطقي لا السيكولوجي .

2.3 علمية الفلسفة الوضعية

لقد بينت الفلسفة الوضعية أن المبادئ التي تعد قوانين للعقل، وان الطريقة الوحيدة للكشف عنها تنحصر في دراسة ما انتجه العقل الإنساني، أي في دراسة نمو العلوم، فهذه

العلوم هي أيضا المصدر الذي يجب أن نستنبط منه نظرية الاستدلال بطريقة الملاحظة، يقول أ.كونت يجب ألا ننسى أبدا أن الروح العامة للفلسفة الوضعية نشأت في أول الامر بناء على الثقافة الرياضية، وان الرياضيات خير علم يوقفنا على الشروط الأولية للعلم الوضعي

لذلك ستختفي طريقة التفكير الميتافيزيقي عندما نعتاد تصور جميع أنواع الظواهر على غرار الظواهر السابقة، وعندما تصبح فكرتنا عن قوانينها مألوفة لدينا مهما يكن من طبيعة هذه الظواهر .

وبهذا الفهم نتبين أن الوضعية هي صورة الفكر العلمي الذي يتأسس على تفسير الظواهر الطبيعية بالربط بينها، الوضعية هي روح التفكير العلمي والفلسفة التي تنهل من مورد العلوم، وموضوعها هو العلوم الوضعية التي تهتم في البحث في القوانين لا عن الأسباب وهذه العلوم هي حسب التصنيف الكونتي هي الرياضيات، الفلك، الفيزياء، الهندسة البيولوجيا ويتكفل أ.كونت بمهمة علمنة سادسها وهي "الفيزياء الاجتماعية"، وبهذا التحليل يكون معناها الممارسة التصنيفية للعلوم وفق مقياسيين أولهما منطقي والثاني تاريخي. وبذلك فالفلسفة عنده هي نظرية العلم أو منطق العلم ويتضح هذا فيما أكده ميشال سار على أن الدروس الوضعية "موسوعة التاريخ أو قاموس نص(Serre,M,p56)، وذلك باعتبار إلى أنها تعالج فيها من منظور تطوري الابعاد العامة لتقدم الفكر الإنساني، وتطور المعرفة العلمية سواء في مجال العلوم العلمية أو في مجال العلوم الإنسانية، لذلك يقر بيار ماشري اعجابه العلمي بما قدمته الفلسفة الوضعية فيقول أنها تستحق اسم ثورة كوبرنيكية (الفلسفة والعلوم، 1994ص80)، فقد كان تفكير كونت منصبا، في الآن نفسه، على بلورة سياسة وضعية وتأسيس علم وضعي، الامر الذي جعله يقلّد العقل مراسيم فلسفته الوضعية، بما هو عقل يعترف بأهمية التطبيق والفعل . غير أنه يمكننا التساؤل هل من المشروع اختزال العلم في العلم عامة ؟

لقد استحال العلم برمته إلى أداة، بحكم ما شرّعته الكونتية من توالج بين التقني والعلمي وبين الاصطناعي والذاتي. وبحكم هذا التوالج بين التقني والعلمي أصبح معيار العقل هو في قدرته على التطبيق. وهنا لابدا من الإشارة إلى أن فلسفة أ.كونت تسمى الفلسفة الوضعانية، وبالتالي وجب أن نفهم معاني كلمة "وضعي "لنفهم خصائص الابستمولوجيا الوضعانية وهي عنده مرادفة لكلمة "علم" science في مقابل لفظ "خرافي "

métalogiqueأو لاهوتي théologien"أو "ميتافيزيقي "métaphysique ، وبالتالي فكلمة وضعي التي اشتقت منها وضعانية هي فلسفة ذات ابعاد عملية، تطبيقية ميدانية همها مصلحة الانسان ومنفعة المجتمع وليس هما المجال ميتافيزيقي المجرد الذي يبحث في الغيبيات أو في الماورائيات وبهذا التقدير.

وبهذا التأويل فإن الفلسفة الوضعية تعتبر نفسها نهاية مطاف أو سيرورة الفكر الإنساني أي اعلى درجات تطوره وارقى مراحله. وهكذا فان الفلسفة الوضعية تُنزل الفكر الإنساني في التاريخ أي أنها تجسده في الصيرورة الزمانية لذلك يعتبر أ.كونت ان الفلسفة الوضعية انبنت على انقاض فلسفتين انتهى زمانهما فلسفتين اصبحتا من الماضي الغابر وهما الفلسفة اللاهوتية والفلسفة الميتافيزيقية(Comte,A,1975,p66)، وبهذا الفهم يقول أ.كونت "ان نعلم هو أن نتوقع، وأن نتوقع هو أن نقتدر" Savoir, c'est prévoir ,prévoir c'est pouvoir (Comte,A,1975,p96)، وفي الفرق بين اللفظين التنبؤ والتوقع فرق بين الفكر الوضعي، والفكر اللاهوتي .فهل كان أ.كونت مصيبا في جعل موسوعته موسوعة خطية ؟

3.3 علمية العلوم الانسانية

قد تأسست العلوم الإنسانية في مسار طويل هيئة فيه شروط المعرفة الموضوعية التي كانت تقتضيها تلك النشأة وذلك يتجاوز العوائق الإبستمولوجية الخاصة بها لتصل إلى مرحلة التأسيس الفعلي لها وأن تأسيس معرفة علمية يتطلب وجود موضوع خاص يتحدد من خلاله نموذج المنهج الخاص بها، العلوم الإنسانية مجال معرفي غير مستقل عن التطور العام الذي حدث في ميدان العلوم خاصة في مجال العلوم الطبيعية والفيزيائية: هل هناك إمكانية الإقرار بوجود علوم إنسانية ما قبل المرحلة الوضعية؟ وهل مسار مشروط بتطور العلوم الأخرى؟ هل يمكن تطبيق نفس منهج العلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية ؟

حسب ترتيب العلوم عند أ.كونت نجدها تتدرج من البسيط إلى أعقد الظواهر والمتمثلة في الظواهر الإنسانية من خلال علم الاجتماع باعتباره آخر علم وصل إلى المرحلة الوضعية مقارنة بما سبقه من علوم عقلية أو تجريبية فلقد أصبح من الممكن بل من الواجب، بفضل تقدم العلوم الوضعية إنشاء علم اجتماعي وضعي يكون للمجتمع كالفيزياء بالنسبة للطبيعة (الجابري، م، ص19)، ما هو المنهج الملائم للدراسات الإنسانية ؟

لعل تطبيق الظواهر الإنسانية من حيث خصوصيتها وتركيبتها المعقدة والصعبة يثير اشكال في تحديد المنهج الملائم، الامر الذي يطرح إشكالية البحث في العلوم الإنسانية ويعود ذلك إلى ان الدراسة العلمية تقتضي التمييز بين الذات العارفة وموضوع المعرفة غير أن في العلوم الإنسانية هناك تداخل بين موضوع البحث وذات الباحث.

وهذا ما يطرح مشكلة الذاتية كعائق ابستمولوجي، إن تنوع طبيعة العلوم الإنسانية وتمايزها على مستوى التركيبة والموضوع مع العلوم العلمية أفضى إلى صعوبة في إيجاد المنهج العلمي المناسب لدراستها. ان الهدف من هذا البحث هو محاولة إبراز مكانة العلوم الإنسانية وقيمتها ضمن المجال المعرفي العام، وإن كانت إشكالية القبول بها أو رفضها من طرف الفلاسفة والعلماء لا تزال محل نقاش بالرجوع إلى طبيعتها الابستمولوجية الخاصة، ووجودها في منطقة تجاذب بين كل من الفلسفة والعلم والتساؤل حول حقيقة انتمائها وتصنيفها، مما يبرر استمرارية البحوث والدراسات في هذا المستوى.

إن تحديد العلاقات الثابتة للعلم الوضعي هو علامة على تقدم العلوم الإنسانية الناتجة عن العقلانية العلمية والامر الذي يتطلب حسب أ.كونت استبعاد كل من الميتافزيقية واللاهوت ليهتدي إلى اسبقية التجربة، فالمعرفة قائمة على ملاحظة الواقع وليس على المعارف القبلية حسب أ .كونت الطابع الأساسي للفلسفة "هو النظر إلى كل الظواهر على أنها خاضعة إلى قوانين طبيعية لا تتغير "((Loubier,1974,p87 .ضمن هذا التدرج التاريخي والمعرفي الذي تترتب وفقه العلوم بناء على استيفائها لشروط التطور، بوصولها للمرحلة الوضعية، لذلك كان الإصلاح الاجتماعي يشترط إصلاحا فكريا أو عقليا، باعتبار أنه ليس بالثورة أو بالعنف نعيد به تنظيم المجتمع الذي يعيش الأزمة ولكن بواسطة تنظيم العلوم، وبواسطة إبداع سياسة وضعية. وباختصار فان الفلسفة الوضعية تهديف إلى تأسيس علم جديد، هو علم الاجتماع الذي اتخذ من تاريخ النوع البشري موضوعا له، في هذا الاطار يقول كونت " لا ينبغي أن نقصر جهودنا على الرياضيات، والعلوم الطبيعية فحسب، بل يحمل بنا أن نبادر بتطبيق المنهج .العلمي على مجالات أوسع ونبسطه على ميادين الحياة العامة"(Comte,A,p65)، فكل أعمال الإنسانية تبدأ من الأبسط إلى الأعمق، منفذة بواسطة فرد أو بواسطة عدد ما من الأفراد تتألف حتما من جزأين: أحدهما نظري والآخر عملي، أحدهما تأملي والآخر تنفيذي، فالأول بالضرورة يسبق الثاني، وبعبارة أخرى ليس هناك من فعل دون تأمل ممهد له(Comte,A,p96).وهذا ما يتطابق مع

محتوي مؤلفاته حيث نتبين مثلا أن كتابه دروس في الفلسفة الوضعية هو كتاب في الفلسفة النظرية والعلمية بينما "نسق السياسية الوضعية "هو مؤلف في السياسة العملية، وهو ما يبين أن العمل العلمي ما هو إلى مقدمة للعمل العملي الاجتماعي الذي يعد الهدف النهائي، وبهذا التقدير نتبين أن الفلسفة الوضعية لا يمكن بناؤها الا اذا أصبحت الظواهر الاجتماعية موضوعا للدراسة العلمية وبما أن ذلك يستوجب منهجيا بناء العلوم الأسبق في سلما وضعيا حيث انطلق أ.كونت من واقع المجتمع الصناعي وهو المجتمع الأوربي الذي سيصبح في نظره مستقبلا مجتمع الإنسانية، إذ أن كل الإنسانية ستنتقل إلى عصر المجتمع الصناعي وذلك باعتمادها على العلم في مسارها التاريخي.

4. خاتمة:

إن أوغست كونت بإعلائه من قيمة العلم يهدف إلى تمييز ابستمولوجي، وجل مؤلفات تشي ببعض وجاهة لهذا الاعتبار الإبستيمولوجي، باعتبار أن الابستمولوجيا ليست استمرارا لنظرية المعرفة الكلاسيكية، ولا هي جزء منها، بحيث يتخصّص البحث حول المعرفة في مجال معين هو العلم، لذلك إن ما تهدف اليه الابستمولوجيا هو أن تكون، وضمن صورة العلاقة الجديدة بين الفلسفة والعلم، البديل عن نظرية المعرفة ..."(وقيدة، ص1983، 49) لذلك غاية ما يرنو اليه أ.كونت في صياغة فلسفته الوضعية هو الإشارة إلى نهج فكري علمي انساني يرتبط بالمسارات الاجتماعية الواقعية لذلك كانت الفلسفة عند ه ملزمة بالعلم موضوعا ومنهجا فإنها تصبح " فلسفة العلم " أو " فلسفة علمية "، وإن هذا الاستنتاج أعلن عنه جون سيتوارت ميل من خلال اقراره " أن فلسفة علم ما هي إلا ذلك العلم نفسه(Stuart M,1968,)، وأن الابستمولوجيا هي تفكيرا حول العلم، كما أنها تتوسع في مجالات اشتغالها فهي تفكير نقدي حول كل العلوم والمعارف والفلسفات والفنون.. وبالتالي فهي ليست العلم ولا الفلسفة ولا علم المناهج ولا نظرية المعرفة، ولكنها كل ذلك من زاوية ما(رسول محمد، 123، 1959)، لذلك نتبين افق أ.كونت هو بناء مسار ا تصاعدي يجسد من خلاله تكاملا واضحا بين جميع مجالات العلوم.

قائمة المصادر والمراجع:

- André, Pierre ,(2004),Le sens du progrès une approche historique et philosophique,Flammarion,Paris
- Comte Auguste ,(1975), Cours de philosophie positive, Hermann, Paris.
- Grange(Juliette),2002 Comte ,In ,Le Vocabulaire des philosophie ,philosophie moderne (XLX siècle), Ellipses, Paris.
- J. Stuart Mill (1968) Auguste Comte et le positivisme Traduit de L'anglais par - M.Dr G. Clemenceau, Germer Baillière librairie éditeur, Paris,
- Jean Lacroix ,(1996) La sociologie d'auguste Comte ,Paris, P .U.F

Loubier A,(1974) Comte ,Philosophie des sciences, Textes choisie, Paris, P.U.F

- Serres Mechel, (1989)Elements d'histoire des sciences, Bordas culture, Paris
- Littré Emile ,(1879),Conservation, révolution et positivisme, aux bureaux de la philosophie positive,Paris

المراجع باللغة العربية

- بيار ماشري، (1994) كونت الفلسفة والعلم، ترجمة سامي أدهم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- رسول محمّد رسول (1959)، التفلسف النقدي ايمانويل كانط والمعرفة البديلة، منشورات ضفاف، الرباط.
- محمّد عابد الجابري، (1988)، المعاصرة العقلانية والرياضي الفكر تطور، ج 1 .
- محمّد وقيدة، (1983) ما هي الابستمولوجيا ؟ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط2.